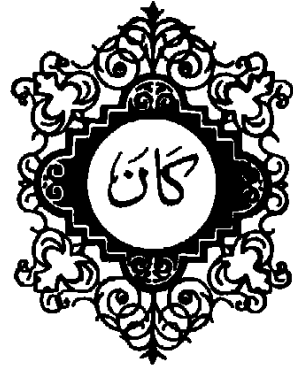


٤

زوج الكوكا قصة



ذلك في وقت متأخر من الليل ، بعد الساعة
الحادية عشرة • كنت قد نمت منذ زمن فاذا أنا
أستيقظ متفصا • ان الضوء الكابى الضعيف
الذى ينشره السراج البعيد لا يكاد يضىء
الغرفة ••• وكان جميع الناس تقريبا قد ناموا ، حتى اوستيانسيف *
كنت أسمع فى هدأة الليل تنفسه الشاق الصعب ، وأسمع حشرات
حلقة عند كل شهيق • لقد ترجع فى حجرة المدخل وقع الأقدام الثقيلة
البعيدة ، أقدام دورية الحراسة التى كانت تقترب • وهذا أخمص بندقية
يقرع الأرض قرعاً أصم • فتُفتح الباب ، وعدَّ العريف المرضى وهو يسير
محاذراً ، فما هى الاً دقيقة حتى عاد يغلُق الباب • وحل محلّه عسس
جديد • ابتعدت الدورية وران الصمت من جديد • عندئذ فقط لاحظت
على مسافة غير بعيدة منى سجينين لم يناما وكأنهما يتهامسان بشيء • انه
ليتفق أحيانا لسجينين يرقد أحدهما الى جانب الآخر ، دون أن يكونا قد
تبادلا كلمة واحدة خلال أسابيع بل خلال أشهر بكاملها ، أن يشرعا فى
حديث على حين غرة وسط الليل فاذا بأحدهما يقص على صاحبه ماضيه •

لعلهما كانا يتحدثان منذ مدة طويلة • اننى لم أسمع بدايه حديثهما ولا أدركت كل شىء من الوهلة الاولى • ولكننى ألفت هذا الهمس شيئاً فشيئاً ففهمت القصة كاملة • لم تكن بى رغبة فى النوم فما عسائى افعل الا ان أصغى ؟ ••• كان أحد الرجلين يقص على صاحبه حكايته بحرارة ، راقداً على سريريه نصف رقاد ، رافعاً رأسه ، مائلاً به نحو صاحبه • كان واضحاً أن فى نفسه غلياناً شديداً واهتياجاً قويا • كان يحب أن يتكلم • أما صاحبه فقد كان جالساً على سريريه مظلم الوجه قليل الاكتراث باسطاً ساقيه على الفراش يجيب رفيفه من حين الى حين ببضع كلمات من قبيل اللبافة ويستشيق فى كل لحظة شيئاً من سعوط يتناوله من علبة خاصة • انه الجندى تشيريفين الذى ينتمى الى فئة التآديب ، وهو امرؤ متحذلق متجهم الوجه بارد الشعور مباحك غبى أنانى ؟ أما صاحبه الذى كان يروى قصته فهو سجين مدنى اسمه شيشكوف ، فى نحو الثلاثين من عمره ، لم التفت اليه قبل ذلك فى يوم من الأيام ، ولا شعرت نحوه طول مدة اقامتى فى السجن بشىء من الاهتمام ، ذلك أنه كان رجلاً ضحل العقل طائش اللب • كان فى بعض الأحيان يلبث صامتاً أسابيع بكاملها كئيب المزاج فظ المعاملة شرس الطبع ثم اذا هو يتدخل فى امر من الأمور على حين فجأة فيشير بالضجة والصخب ويتحمس لأتفه الترهات ويهرف بما لا يعرف ويتنقل من ثكنة الى ثكنة يفتاب الناس ويرسل هاجر القول ويبدو خارجاً عن طوره ، حتى اذا ضربوه عاد يلزم الصمت من جديد • واذ كان نذلاً جباناً فقد كان السجناء يعاملونه باحتقار • انه رجل قصير القامة نحيل الجسم له عيان زائعتان أو قل حالمتان على غباوة وبلاهة • كان اذا حكى شيئاً من الأشياء اندفع يتكلم بحرارة وحرك ذراعيه ثم اذا هو يتوقف عن الكلام فجأة أو ينتقل الى موضوع آخر فيضيع فى تفاصيل جديدة ثم

ينسى أخيراً الموضوع الذى كان يتكلم فيه • وكان شيشكوف كثير المشاجرة ، حتى اذا أخذ يعاتب خصمه تكلم بلهجة عاطفية ، وأوشك أن يبكى • وكان يحسن العزف على البالالايكيا ويحبها حباً عظيماً حتى لقد كان يرقص فى أيام الأعياد فيحسن الرقص اذا دعاه الى الرقص أحد أو حضه عليه ••• (ما أسرع ما كان يستطيع غيره أن يحمله على فعل ما يشاء لا لأنه كان طيعاً بل لأنه يحب ان يكون له رفاق وان يرضيهم) •

لبث زمناً لا أستطيع أن أفهم ما كان يقصه شيشكوف • وكان يبدو لى أنه لا يترك موضوعه ويمضى يتكلم فى موضوع آخر • لعله كان قد لاحظ أن تشيريفين لا يصغى الى قصته كثيراً ولكننى أعتقد أنه كان يريد أن يتجاهل قلة الاكتراث هذه من جانب تشيريفين وان لا يتأثر بها أو يستاء منها •

تابع كلامه يقول :

- ••• فكان اذا مضى الى السوق حيّاه جميع الناس وعظموه وبجلوه ••• رجل واسع الثراء عريض الغنى ! •••
- قلت انه كانت له تجارة ؟

- نعم تجارة ! الصنائع عندنا فقراء : هم الفاقة بعينها • النساء يذهبن الى النهر فيجئن بالماء من مكان بعيد جداً يسقين به حدائقهم ويضنين أجسادهن ويرهقن أنفسهن ومع ذلك لا يملكن حين يأتى الخريف ما يصنعن به حساءً بالكرب • هى حالة دمار كامل • ولكن ذلك الرجل كان يملك قطعة كبيرة من الأرض يفلحها عماله الثلاثة ، وكان يملك عمائر نحل يبيع عسلها وكان يتعاطى تجارة الماشية ••• الخلاصة كان الناس عندنا يحترمونه ويكبرونه • وكان طاعناً فى السن أشيب الشعر تماماً • انه فى السبعين من عمره • فعظامه الهرمة تنوء بحمل

هذه السن • كان اذا جاء الى السوق مرتدياً فروته المصنوعة من جلد الثعلب حيّاه جميع الناس قائلين :

« - يومك سعيد يا أنكوديم تروفيتمش •

« - يومك سعيد ، كيف صحتك ؟

« - كن لا يحتقر أحداً •

« - أطل الله بقاءك يا أنكوديم تروفيتمش !

« - كيف أحوالك ؟

« - حسنة بمقدار ما يكون السخام أبيض وكيف أحوالك أنت يا أنكوديم تروفيتمش ؟

« - نعيش لخطايانا ••• نتعب كاهل الأرض •••

« - أطل الله عمرك يا أنكوديم تروفيتمش •

« - كان لا يحتقر أحداً • كانت نصائحته ثمينة • كل كلمة من كلماته تساوى روبلاً • وكان قراءاً من الطراز الأول ، لأنه كان عالماً ••• كان لا ينفك يقرأ كلام الله ••• كان ينادى امرأته المعجوز فيقول لها :

« - اسمعى يا امرأة ! افهمى ما أقوله لك •••

ثم يمضى يشرح لها • ولم تكن المعجوز ماريّا ستينانوفنا عجوزا ان شئت ، فهي امرأته الثانية تزوجها لينجب منها ، لأن امرأته الأولى لم تلد • كان له ابنان ما يزالان صغيرين ، فان الثانى فاسيا قد ولد حين شارف أبوه على الستين ، وكانت ابنته آكولكا ، كبرى أولاده ، فى الثامنة عشرة من عمرها •

سأل تشيريفين صاحبه شيشكوف :

– هـى زوجتك ، أليس كذلك ؟

– انتظر لحظة • أخذ فيلكا ماروزوف يضج ويصخب • قال
لأنكوديم :

« – هلمّ نقتسم! أرجع الىّ روبلاتى الأربعمائة ! أنا لست أجيرك،
ولا أحب أن أتاجر معك ، ولن أتزوج ابنتك آكولكا ! أريد أن أقصف،
ولأشربنّ خمراً بمالى كله بعد أن مات أبواى ؛ ثم أؤجر نفسى ، أى
أنخرط جندياً فى الجيش ، فما هـى الاّ عشرة سنين حتى أعود الى هنا
ضابطا كبيرا برتبة فيلد مارشال •

رد اليه أنكوديم ماله ، رد اليه كل ما كان له عنده • ذلك انه كان
فى الماضى يتاجر مع والد فيلكا برأس مال مشترك • رد اليه ماله
وقال له :

« – أنت يا بنى رجل ضائع •

فأجابه الشاب :

« – سواء أكنتُ ضائعاً أم لم أكن ياذا اللحية الشيباء ، فانك أكبر
يخيل عرفته فى حياتى ! انك تريد أن تصنع فروة بأربعة كوبيكات !
تضم القرش الى القرش وتلتقط من الأرض كل الأوساخ التى يتصورها
الخيال لتستعملها وتتفع بها ! اننى أريد أن أبصق على هذا ! انك تدخر
وتكنز لا يدرى الاّ الشيطان لماذا ! أما أنا فصاحب ارادة قوية وعزيمة
جبارة ! ولن أتزوج ابنتك آكولكا ! يكفينى أننى نمت معها •••

« – كيف تجرؤ أن تلتطح بالعار أباً شريفاً وفتاة شريفة ؟ متى نمت
معهـا يا شحم أفعى ، يا دم كلب ؟

كذلك قال له أنكوديم وهو يرتجف غضبا (ان فيلكا هو الذى
روى ذلك فيما بعد) • وأردف فيلكا يقول للشيخ :

« - لن يكفينى أن لا أتزوج ابنتك بل سأفعل كل ما يجب أن أفعله من أجل أن لا يتزوجها أحد حتى ولا ميكتا جريجورينش ، لأن شرفها قد تلطخ ! لقد عاشرتها منذ الخريف الماضى . ولكننى لن أتزوجها بحال من الأحوال • لو أعطيتنى ملك الدنيا ما تزوجتها ! ... »

وأخذ الفتى يلهو ويقصف مستكبراً مستعلياً مدلاً بنفسه ! وصاحت المدينة كلها متفجعة متوجعة • وأصبح للفتى رفاق يحسدون حوله لأنه يملك مبلغاً كبيراً من المال • وظل ثلاثة أشهر ينفق متلفاً مبدراً حتى أتى على آخر قرش فى يده • كان يقول : « أريد أن أرى نهاية هذا المال ، وبعد ذلك سأبيع البيت ، وسأبيع كل شئ ، ثم أنخرط جندياً فى الجيش ، أو أضرب فى الارض متشرداً » • كان يسكر من الصباح الى المساء ويتنزه فى عربة يجرها حصانان وتجلجل فيها أجراس وكانت الفتيات هى التى تحبه لأنه كان يجيد العزف على التوربا ... »

سأل شيريفين رفيقه :

- هل صحيح أنه كان قد عاشر آكولكا تلك ؟

- انتظر ! رجعت من دفن أبى • كانت أمى حينئذ تصنع كعكاً • كنا نعمل لحساب أنكوديم فكان هذا يدر علينا ما يقيم الأود • غير أن حياتنا كانت شاقة • كن لنا أرض وراء الغابة نزرعها قمحاً • ولكن حين مات أبى رحى ألهو وأقصفت فكنت أجبر أمى على أن تعطينى مالاً بضربها ضرباً مبرحاً ... »

- أخطأت اذ ضربتها ! ذلك اثم كبير ! ... »

- كنت فى بعض الأحيان أظل ثملاً طوال النهار • وكان لنا بيت لا بأس به • صحيح أنه متداع عفن ، ولكنه ملك لنا • وكنا نتضور جوعاً

... كانت تنقضي أسابيع بكاملها ونحن لا نملك ما نسد به رمقنا • وكانت أمي ترهقني بسخافاتنا وتقتلني بحماقاتها ولكنني لم أكن أبالي • • • كنت لا أترك فيلكا ماروزوف • وإنما بقي معاً في الليل والنهار • كان يقول لي :

« - اعزف لي على القيثارة ، وسأظل أنا مضطجماً وسأرمي لك مالا لأنني رجل غني •

كان لا ينفك يبتكر ويخترع ، ولكنه لا يمد يده الى مال مسروق ، فهو يقول :

« - ما أنا بسارق ! أنا رجل شريف !

وكان يهيب بنا قائلاً :

« - هلموا نلطنح باب آكولكا بالقطران * لأنني لا أريد أن تتزوج ميكينا جريجوريتش ! أنا أحرص على هذا الآن أكثر مما كنت أحرص عليه في أي وقت مضى • • •

وكان الشيخ يريد منذ زمن طويل أن يزوج ابنته ميكينا جريجوريتش : هو رجل متقدم في السن ماتت عنه امرأته ، يعمل تاجراً ويضع على عينيه نظارتين • • • فلما سمع ما أشيع عن سوء سلوك آكولكا قال للشيخ :

« - سيكون ذلك عاراً كبيراً عليّ يا أنكوديم تروفيمتش • ثم انني لا أريد أن أتزوج الآن فقد تجاوزت سن الزواج •

لطنحنا باب آكولكا بالقطران • وضربوا آكولكا في البيت بسبب ذلك حتى كادت تموت • كانت أمها ماريا ستيانوفنا تصيح قائلة : « لسوف يقتلني هذا العار قتلاً • • » • وكان أبوها الشيخ يقول : « لو أننا في عهد

البطارقة لكان من حقى أن أقطعها تقطيعاً ولكن كل شيء فى هذا الزمان قد استحال عفونة وفساداً على هذه الأرض * وكان الجيران فى بعض الأحيان يسمعون عويل آكولكا من أول الشارع الى آخره * كان أهلها يجلدونها من الصباح الى المساء * وكان فيلكا ينادى فى السوق قائلاً لجميع الناس :

« - ما أحسن هذه البنت آكولكا رفيقة سكر ! ... لقد صفعتهم على بوزهم ولسوف يتذكرونى ما عاشوا !

وفى ذات يوم صادفت آكولكا ذاهبة تملأ قواديسها ماءً فصحت أقول لها :

- نعمت صباحاً يا آكولينا كوديموفنا ! تحية لطهارتك ! قولى لى مع من تعيشين ومن أين تجيئين بالمال حتى تبخترى هذا التبخر ؟ قلت لها ذلك ولم أضف شيئاً * فنظرت الى محملقة بعينين واسمتين * كانت قد نحلت نحولاً شديداً حتى أصبحت كالعود هزلاً * لم ترد على أن نظرت الى * ولكن أمها التى ظنت أنها كانت تمازحنى صاحت تناديهما من على عتبة الباب قائلة لها :

- ما حديثك معه يا قليلة الحياء ؟

وعادت فى ذلك اليوم تضربها من جديد *

كانت تضربها فى بعض الأحيان ساعة كاملة وتقول : « أنا أجلدها لأنها لم تعد بنتى » *

سأله تشيريفين :

- كانت اذاً فاجرة ؟

- انتظر حتى أحكى لك يا صاحبي ! كنا لا نزيد على أن نسكر

مع فيلكا * وفى ذات يوم ، بينما كنت راقداً ، جاءت أمى وقالت لى :

– لماذا تظل راقداً أيها الوغد ، أيها اللص ؟
 شتمتني في أول الأمر ثم قالت لي :
 . – تزوج آكولكا ! لسوف يسرهم أن يزوجوكها ولسوف يدفعون
 لك بائة قدرها ثلاثمائة روبل •

فأجبتها بقولي :

– ولكن جميع الناس يعلمون الآن أن شرفها ملطخ •
 – حيوان ! هذا كله يزول متى وضع على رأسها اكليل الزواج !
 ثم ان ذلك سيجعل حياتك معها أفضل ، فستظل ترتعد خوفاً منك طول
 عمرها ، وسنعيش من مالها في سر وبجسوة • لقد كلمت ماريما
 ستيانوفنا في أمر هذا الزواج واتفقنا •

قلت لها :

– اذا أعطيتني عشرين روبلاً على الفور تزوجتها •
 لك أن لا تصدق اذا شئت ، ولكن الحقيقة هي أنني ظلمت سكراناً
 الى يوم الزواج • وكان فليكا ماروزوف ما ينفك يهددني ويتوعدني
 ويقول لي :

– لأحطمن أضلاعتك أيها الحقير الذي ارتضى أن يكون خطيب
 آكولكا ، ولأضاجعنها كل ليلة اذا شئت !

أجبتة بقولي :

– أنت تكذب يا كلب •

لقد جللني بالعار أمام جميع الناس في الشارع • هرعت الى البيت •
 أصبحت لا أريد أن أتزوج ما لم أعط خمسين روبلاً على الفور •

قال تشيريفين :

– وهل زوجوك اياها ؟

– زوجوني اياها ؟ لم لا ؟ نحن أناس لم يدنس شرفنا • ان حريقاً هو الذى دمر أبى قبل موته بقليل ، حتى لقد كن أبى أغنى من أنكوديم تروفيمتش • قال لى الشيخ أنكوديم :

– خلىق بمن كان مثلك بلا قميص أن يسعده كثيراً أن يتزوج

• ابنتى

فأجبهته :

– هل نسيت أن بابك قد لطح بالقطران ؟

– ما هذا الذى تقوله ؟ برهن لى على أن شرفها قد دنس • • اليك الباب على كل حال ، فاذهب ان شئت ! ولكن ردّ الى المال الذى أعطيتك اياه •

قررنا عندئذ مع فيلكا ماروزوف أن نرسل مترى بيكوف الى الأب أنكوديم ليقول له اننى سأشهّر بابته أمام جميع الناس • وظللت حتى يوم الزواج لا أفيق من السكر • ولم أصح الا فى الكنيسة • حين أرجعونا من الكنيسة أجلسونا وقال عمها متروفان ستياتش :

– لقد تم الأمر وانتهى رغم أنه غير نظيف •

كان الشيخ أنكوديم جالساً يبكى والدموع تسيل على لحيته البيضاء • واليك أيها الرفيق ما كنت قد فعلته أنا : وضعت سوطاً فى جيبى قبل الذهاب الى الكنيسة عازماً على أن أبهج قلبى باستعماله بغية أن يعلم الناس أن أحداً لم يستطع أن يفرر بى وأن يخدعنى وبغية أن يعرفوا هل أنا غبى حقاً •

قال تشيريفين :

- مرحى ... وبغية أن تدرك هي ماذا ينتظرها •

- مهلاً يا صاحبي ! لقد جرت العادة عندنا أن يقاد الزوجان بعد حفلة الزواج رأساً الى غرفة على حدة ، بينما يبقى الآخرون يشربون منتظرين عودتهما • تركونا نختلى • كنت آكولكا ممتعة الوجه صفراء اللون مذعورة ذعراً شديداً ليس في خديها قطرة من دم • وكان شعرها ناعم الملمس أشقر اللون وكانت عيناها واسعتين جداً • ان آكولكاتصمت في جميع الأحيان تقريباً ، لا تكاد تتكلم ، حتى لقد يُظن أنها خرساء • عجيبة آكولكا هذه ! لك أن تتصور الموقف : كان سوطى مهياً على السرير • فهل تعلم ما الذى اكتشفته ؟ اكتشفت أنها بريئة ... بريئة كل البراة ... لا أستطيع أن آخذ عليها شيء ... لقد كانت عذراء ...

- غريب !

- فعلاً ! كانت عذراء كأية فتاة عذراء شريفة • فلماذا أيها الأخ ، لماذا تحملت ذلك المذاب كله ؟ لماذا شهّر بها فيلكا ماروزوف مفترياً عليها ؟

- حقاً ! لماذا ؟

- عندئذ نزلت عن السرير ، وركعت أمامها ضاماً يديّ احدهما الى الأخرى ، وقلت لها :

- غفرانك يا آكولينا كوديموفنا ! سامحيني ، فقد كنت في غاية الحماقة والغباء والبلاهة حين صدقت تلك الوشايات كلها ! عفوك عفوك ... ان أنا الا وغد ! ...

كانت جالسة على السرير تنظر الىّ ، فوضعت يديها على كتفيّ ،

وأخذت تضحك ، ومع ذلك كنت الدموع تسيل على خديها ••• كانت تتشنج وتضحك في آن واحد ••• ثم خرجت الى الناس وقلت لهم جميعاً :

- ويل لفيلكا ماروزوف ! لو رأيته لانتقل فوراً الى العالم الآخر !

فرح الأبوان فرحاً لا يوصف حتى أصبحا من شدة الفرح لا يعرفان ماذا يقولان • أو شكت أم آكولكا أن ترتدى على قدمي ابنتها وكانت تشنج تشنجاً قوياً • وقال الشيخ لابنته : « لو علمنا وعرفنا هذا كله يا ابنتنا الحبيبة ، ارتضينا لك مثل هذا الزوج » • لبتك رأيت ملابسنا ونحن نخرج من الكنيسة في أول أحد من أيام الآحاد بعد زواجنا • كنت أنا أرتدى قفطاناً من فاخر الجوخ وأضع على رأسي فبعة من فراء وأزين أكمامي برائع المخمل ، وكانت هي تلبس معطفاً جديداً من فراء الأرنب وتجلل رأسها بوشاح من حرير • زوجان متكافئان • كان الناس جميعاً ينظرون إلينا معجبين • كنت حسن المظهر وسيم الطلعة • وكذلك كانت آكولينوشكا • ما ينبغي للمرء أن يمتدح نفسه وأن يفاخر بها ولكن ما ينبغي له أيضاً أن يفض من قدره وأن يحط من قيمته ••• ليس بين الأزواج دستات كثيرة منا •••

- طبعاً

- طيب ! اسمع التهمة • في غداة زواجنا هربت من ضيوفى رغم سكرى وطفقت أركض في الشارع صائحاً : « أين ذلك الوغد فليكا ماروزوف ! اتنوبى بهذا الحقير ؟ ألا فليجىء الى هذا النذل ! كنت أعول بهذا الكلام في السوق • يجب أن أذكر لك اننى كنت في حالة سكر شديد • قبضوا علىّ مع ذلك قرب منزل أسرة فلاسوف • احتاجوا الى ثلاثة رجال من أجل أن يرجعوني الى البيت عنوة • صارت القصة حديث

الناس كلهم فى المدينة • أصبحت الفتيات اذا التقى بعضهن بعض فى السوق تقول احداهن للأخرى : « هل علمت ؟ ان آكولكا عذراء ! » • وبعد ذلك بزمان قصير صادفت فليكا ماروزوف فقال لى جهاراً على رؤوس الأشهاد أمام غرباء :

– ما عليك الا أن تبيع زوجتك فتشترى بئمنها خمرآ • افعل ما فعله الجندى ياشكا ! انه لم يتزوج الا لهذا الغرض ، حتى أنه لم يضاجع امرأته مرة واحدة ، ولكنه على الأقل حصل على مال وفير يسكر به مدة ثلاث سنين ♦♦♦

أجبتة :

– نذل •

فقال لى :

– غبى • لقد تزوجت وأنت فى حالة سكر لا تملك عقلك وشعورك ولم يكن فى وسعك أن تفهم شيئاً وأن تدرك الحقيقة •

وصلت الى البيت وصرخت أقول لهم :

– لقد زوجتمونى وأنا سكران •

أرادت أم آكولكا أن تتشبث بى ولكننى قلت لها :

– اليك عنى يا امرأة فانك لا تفهمين الا شؤون المال ! هاتى لى آكولكا ! وعندئذ انما أخذت أضربها ♦♦♦ ظلمت أضربها يا صاحبى ساعتين كاملتين الى أن تهاويت أنا نفسى على الأرض ولم تستطع هى بعد ذلك أن تبارح السرير خلال ثلاثة أسابيع •

قال تشيريفين ببرود :

- طبعاً اذا لم تضربهن فانهن ... هل وجدتها مع عشيقها ؟

قال شيشكوف بعد صمت وهو يتكلم فى غناء :

- أبدا يا صاحبي ! لم يقع شيء من ذلك فى يوم من الأيام ! ولكننى شعرت بمهانة كبيرة ومذلة شديدة لأن جميع الناس كانوا يسخرون منى . ان فيلكا هو سبب ذلك كله . كان يقول لى :

- انما خلقت امرأتك ليستمتع بها الآخرون .

وفى ذات يوم دعانا الى بيته وها هو ذا يبدأ فيقول :

- انظروا الى هذه المرأة الطيبة ما أعظم رقتها وحنانها ونبيلها وأدبها وعاطفتها وكرمها مع جميع الناس ! أترك نسيت يا صاحبي أننا لطفنا بابهم بالقطران معاً .

كنت حينئذ فى حالة سكر شديد . وها هو ذا يمسك شعري ويشدنى شدا قويا يضطرنى الى التمدد على الأرض دفعة واحدة وها هو ذا يقول لى : هيا ارقص يا زوج آكولكا . أنا أمسك شعرك وأنت ترقص لتسلينى وتسرى عنى .

- سافل

- سأجىء اليك مع الأصحاب أجلد امرأتك آكولكا ما شاء لى هوأى ذلك .

هل تصدق يا صاحبي لقد مكثت فى البيت شهراً بكامله لا أجرؤ أن أخرج مخافة أن يجيئ الينا فتقع لامرأتى جرسة . وما أكثر ما ضربتها أثناء ذلك !

- وعلام تضربها ؟ ان المرء يستطيع أن يوثق يدي امرأة ولكنه

لا يستطيع أن يعقل لسانها • ما ينبغي الاسراف في ضرب النساء ،
أضربها أولاً من قبيل التأديب ثم داعبها بعد ذلك ، ان المرأه خلقت
لهذا •

لبث شيشكوف صامتاً بضع لحظات ثم تابع يقول :

- كنت أشعر بمهانة كبيرة ومذلة شديدة • استأنفت عاداتي
القديمة • أصبحت أضربها من الصباح الى المساء متعللاً بآتفه الأسباب ،
أضربها لأنها لم تنهض كما أحب أن تنهض ، أو لأنها لم تمش كما يجب
ان تمشي ••• صرت اذا لم أضربها أحس بضجر شديد وسام كبير •
كانت في بعض الأحيان تمكث جالسة قرب النافذة تبكي بكاءً صامتاً فكان
يحزننى أحياناً أن أراها تبكي ولكننى أظل أضربها مع ذلك • كانت أمها
تقرعنى وتسبى بسبب هذا فتقول لى :

- أيها النذل يا غراب الشؤم •••

فأجيبها :

- اسكتى ! لا تنطقى بكلمة واحدة والا أجهزت عليك ! لقد
زوجتمونيها وأنا سكران فخذتموني وغششتموني •
- أراد الشيخ أنكوديم فى أول الأمر أن يتدخل فى القضية • فقال
لى ذات يوم :

- حذار حذار ! ما أنت بمن لا يمكن رده الى الصواب •••

ولكنه لم يلبث أن انتهى عن عزمه • وأخذت ماريا ستيبانوفنا تعتمد
الى الرقة واللفظ والدماثة • جاءتتى ذات مرة باكة وقالت لى :
- اسمع يا ايفان سيميونتش ! ان قلبى محطم الماً وحزناً •

ما سأطلبه منك لا قيمة له عندك ، ولكننى أحرص عليه كثيراً • اصرفها بالحسنى يا بنى ، دعها تذهب •

قالت العجوز ذلك ثم جث وأضافت تضرع الى :

— هدىء روعك • اغفر لها • لقد افترى الأشرار عليها فوصموها بما ليس فيها • وأنت تعلم حق العلم أنها كانت عذراء حين تزوجتها • وطفقت الأم تبكى وأصررت أنا على عنادى فقلت لها :

— لا أريد أن أسمع شيئاً وسأفعل بكم ما يحلو لى أن أفعله لأننى خارج عن طورى لا أستطيع كبح جماح نفسى • أما فيلكا ماروزوف فهو خير صديق لى ، وهو أعز انسان على نفسى •

قال تشريفين :

— هل استأنفتما السكر معاً ؟

— مستحيل ! لقد أصبح لا يمكن الاقتراب منه ! لقد أدى به الشرب الى ما يشبه الجنون • أنفق كل ما يملك وارتضى أن يجند فى الجيش بدلاً لفتى من أغنياء المدينة • والعادة عندنا أن الشاب الذى يقبل أن ينوب عن شاب آخر فى الجندية يصبح سيد البيت ، ويصبح الأمر والنهى ، الى أن يساق الى الجندية • انه يتقاضى المبلغ المتفق عليه يوم سفره ، ولكنه بانتظار ذلك يعيش فى منزل مولاه ، وقد يقضى فى هذا المنزل ستة أشهر كاملة • وما من فظاعة من الفظاعات يتورع عن ارتكابها أمثال هؤلاء الفتيان ! ألا انه لينبغى فى مثل هذه الأحوال أن تنقل من البيت جميع الصور المقدسة • ان الفتى من هؤلاء الفتيان حتى قبل أن يكون بدلاً لابن رب البيت فى الجندية يعد نفسه صاحب فضل عظيم ونعمة كبرى ، ويعتقد أن من حقه أن يحاط بجميع أنواع

الاحترام ، والا نكل عن وعده ونكص على عقيبه • هكذا كان فلكا ماروزوف لا يتورع عن شيء في منزل ذلك الرجل ، فهو ينام مع الفتاة ، ويمسك رب البيت من لحيته بعد العشاء ، ويفعل كل ما يخطر بباله أن يفعله • كان على أهل الدار أن يوقدوا له حمام البخار كل يوم ، وأن يضيفوا الى الحمام خمرا • وكان على النساء أن يأخذنه الى الحمام مستندا من تحت ابطيه • وكان اذا عاد الى المنزل بعد أن قصف وشرب يتوقف في وسط الشارع ويجأر قائلا :

– لا أريد أن أدخل من الباب فانزعوا السياج •

فلا يملك أهل الدار عندئذ الا أن يهدوا الحاجز قرب الباب حتى يتيحوا له أن يدخل • غير أن هذا كله قد انتهى أخيرا يوم سيق فلكا الى الجندية • لقد اضطر أن يصحو من سكره في ذلك اليوم • واحتشد الجمهور في الشارع كله يقول بعضه لبعض :

– هذا فلكا ماروزوف يقاد الى الجندية •

فكان فلكا يحيي الناس في كل جهة من الجهات يمنا ويسرة • واتفق في تلك اللحظة ان كانت آكولكا عائدة من البستان فما أن لمحها حتى صاح يقول :

– قفى

ثم وثب من العربة ووقف أمامها منتحيا وخاطبها بقوله : «ياروحى ! يا حياتى ! يا تفاحتى الصغيرة ! لقد أحبتك سنتين كاملتين ، وأنا الآن أقاد الى الجندية على أنعام الموسيقى ! اغفرى لى أيتها الفتاة الشريفة يا بنت الأب الشريف ، لأننى نذل حقير ، لأننى مسئول عن شقائك •• كله ، وعن عذابك كله •

قال فيلكا ذلك وانحنى أمامها مرة أخرى • جزعت آكولكا في أول الأمر ، لكنها حيته بعد ذلك تحية كبيرة تثنى نصفين ، وقالت له :
 - اغفر لي أنت أيضاً أيها الفتى الطيب • لست غاضبة منك قط •
 رجعت أنا الى البيت وراءها وسألتها :

- ماذا قلت له يا كلبة •

أجابتنى بقولها وهي تنظر الى نظرة جريئة (لك أن تصدق أو لا تصدق)

- أحبه ••• أحبه أكثر مما أحب أى شئ في هذا العالم •

قال تشيريفين :

- عجيب !

- في ذلك اليوم لم أنطق بكلمة واحدة • غير أنني قلت لها في المساء : « آكولكا ، سأقتلك » ولم يغمض لي جفن طوال الليل ومضيت أشرب خمر الكفاس في حجرة المدخل حتى اذا طلع النهار رجعت الى الغرفة • قلت لها : « آكولكا استعدى للذهاب الى الحقل » كنت أنوى الذهاب الى الحقل من قبل ، وكانت زوجتي تعرف ذلك • قالت لي : « أنت على حق ! لقد آن أوان الحصاد ، وقد سمعت أن العامل مريض منذ يومين ، فهو لا يفعل شيئاً » • قرنت الحصان الى العربدة دون أن أقول كلمة واحدة • ان في آخر المدينة غابة طويلة خمسة عشر فرسخاً ، وفي نهاية الغابة يقع حقلنا ، فلما قطعنا ثلاثة فراسخ تحت الأشجار أوقفت الحصان • قلت لزوجتي : « هلمى يا آكولكا • انهضى • لقد حان أجلك • نظرت الى مذعورة ذعرا شديدا ونهضت صامتا • قلت لها :

« لقد عذبتني تعذيباً كافياً ... هيا صلي صلاتك الأخيرة » • أمسكتُ
 سَعْرَهَا - كان لها ضفائر طويلة كثيفة - لففت الضفائر على ذراعي •
 قبضت على زوجتي بين ركبتي • أخرجت سكينى • قلبت رأسها الى
 وراء • شققت عنقها ... صرخت • تدفق الدم ... عندئذ رميت
 سكينى وضممت زوجتى بين ذراعى ومددتها على الأرض وقبلتها وأنا
 أعول بكل ما أوتيت من قوة ... أنا أصبح وهى تعول وتلمس وتتخبط
 ودمها ما يزال يتدفق بمزيد من القوة فيصيب وجهى ويخرج يدى •
 عندئذ خفت ، فتركتها ، وتركت حصانى ، وأخذت أركض ، وما زلت
 أركض حتى وصلت الى البيت • دخلت البيت من خلف ، واختبأت فى
 خُص كان يستعمل حماماً وأصبح الآن مهجوراً • رقدت تحت المصطبة •
 ولبثت مختبئاً هنالك الى أن جن الليل •

- وآكولكا ؟

- نهضت لترجع الى البيت هى أيضاً ، وعثروا عليها بعد ذلك على
 مسافة مائة قدم من المكان •

- اذن لم تجهز عليها ؟

- كلا •

وصمت شيشكوف لحظة • قال تشريفين :

- نعم هناك وريد ان لم يُقطع بطعنة واحدة فان الانسان يتخبط
 ولكنه لا يموت مهما يتدفق دمه •

- لقد ماتت مع ذلك ، وجدوها فى المساء جثة باردة • أبلغوا
 الشرطه فأخذت الشرطه تبحث عني • قبضوا علىَّ أثناء الليل فى ذلك
 الحمام المهجور •

وأردف شيشكوف يقول بعد صمت :

ـ وهأنذا هنا منذ أربع سنين !

قال تشريفين في وقار وتفخم وهو يخرج علبة التبغ من جديده
وينشق منها نشقاتٍ طويلة متقطعة :

ـ نعم لا بد أن نضربهن والا لم نتوصل الى شيء • ولكنك أيها
الفتى قد تصرفت في غباء شديد • أنا أيضاً فاجأت امرأتى مع عشيق فماذا
فعلت ؟ اقتدتها الى الزريبة فتناولت لجاماً فطويته نصفين وقلت لها : « من
الذى حلفت له أن تكونى وفيه ؟ من الذى أقسمت له فى الكنيسة ؟ »
وأخذت أضربها بلجامى ثم أضربها خلال ساعة ونصف ساعة الى أن
صاحت تقول وقد هدها الضرب هداً : « لسوف أغسل قدميك وأشرب
ماءهما ! » • كان اسمها أفدوتيا •